الإشارات الهادية للقيادة الإدارية
من الكتاب والسنة

نماذج القيادة الإدارية في الإسلام

فضيلة الشيخ / جمال الدين السيروان

بواعث البحث

واقــع مريــر ، وتخلف مريع ، وجحود قاتل وأدواء مستعصية ، وعلــل مرذولة ، وغياب عن الوعي ، وذهول عن الحقيقة ، واستغراق فــي الــوهم ، ومجادلــة بالــباطل وتنظير من غير تأطير ، وعواطف جياشــة بمــنأى عن التعقل ، ولهاث وراء الفاني ، وتعطيل للطاقات ، ووأد للإمكانيات .

ذلــك كلــه ينخــر فــي جسم أمة الحق ، أمة الهداية ، أمة سيد الأنبــياء وخــاتم المرســلين ، تلكــم التي وصفها ربها بأنها خير أمة أُخرجت للناس ..

ومن تمام المأساة أن هذه الشروخ الخطيرة في جسد أمتنا بدت في عصر طبيعته التسارع الجامح ، والتسابق الهائل ، والتطور المتلاحق ، والاكتشــافات المتعاقبة ، والتكنولوجيات المتتابعة ، مع ظهور نظريات فكرية جديدة ، وأيدلوجيات عديدة .. تطرح في جنبات العالم عبر وسائل اتصال مذهلة ضيعت مساحة الكوكب الأرضي حتى بدا وكأنه بيت واسع الأرجــاء ذو غرفات متجاورة .. فتذيع نظرية ثم لا تلبث أن تذوي حتى تظهر مرة أخرى وهكذا دواليك .

وأمــا أمتنا المسلمة إزاء هذه الحالة المؤسفة ، والعلة الأليمة .. راكــدة فــي فكــرها ، جامدة في حركتها ، ومضطربة في التعامل مع تلــك الأحداث ، غائبة عن إدراك يأخذ بيدها إلى سواء السراط .. رغم أن فــي أعمــاق هذه الأمة من طاقة الانطلاق وثروة التطور ، وقدرة الإطــلاع ، وإمكانــية الــتعايش مــع المُستجد ما يؤهلها لتجد لنفسها مكانــاً فــي هذا العصر المتوهج ، والزمن المتأجج والسرعة القصوى والتسابق الحضاري ..

مـــن أجـــل ذلـــك نظـــر جملـــه هم أمتهم إلى هذا الواقع المحزن مستشـــعرين ضـــراوة الأحـــداث المحـــيطة بهـــم ، ومدركين خطورة المخططـــات التـــي تُدبـــر لهم ، نظروا في التماس حل يُخرج الأمة من وهـــدتها وينقذها من ضياعها .. وتوصلوا من خلال البحث إلى نظرتين متعارضتين في الخروج من هذا المأزق العسير ..

أولـــى النظرتين : فتمعن في عكس هذا الاتجاه وذلكم أن المنطلق يكون من فهم الإسلام فهماً واعياً ، وأن الإسلام دين المعرفة ، وباعث الفكـــر ، والداعـــي إلى النظر في آيات الله في الأنفس والآفاق ، وأن العلماء في أي فن لهم مكانتهم عند ربهم ..

وهكـــذا يدعو الله سبحانه وتعالى [سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق] " فصلت : ٥٣ "

إذن لابـــد مـــن العود إلى أهداب الدين الحنيف ، وإلى الاستمساك بأصـــوله ، والبحث عن مقاصده ، والقيام بواجب الموقف وهو التحري للحقائق ، والكشف عن المخبوء ، والمسارعة إلى سبيل التطور ضمن ســـياق الإيمان الواعي إلى قراءة السنن في كل ذرة من الكون ونظرة إلـــى التاريخ تؤكد هذا المنطلق حيث استطاعت أمتنا الإفاقة من سباتها والانطـــلاق فـــي ميادين المعارف وأهل الحضارة الحديثة آنئذ يرشفون تحت قيود الجهل والظلم والتخلف حيث يستولي على القرار لديهم رجال الـــدين عندهم فحضارة الإسلام السابقة التي كانت المعين العذب والنبع الدفاق لحضارة اليوم ..

مـــن خلال النظر المتأني ، والبحث الدقيق ، نجد أنفسنا متجاوزين للنظـــرة الأولـــى / اختصاراً للوقت / حيث أن قناعة المخاطبين لازمة

بفســادها ..غيــر أننا نقف عند الثانية بتأمل واعٍ ، ونظر محكم وذلك لنعقل الغاية المرجوة ، ثم لندرك السبل المفضية إليها ..

لا جــرم أن دفــع الأمــة المسلمة للاهتداء بمنهج الله والاصطباغ بشــريعته ، مطلــب يقــر بــه عقلاء هذه الأمة ، لكن الفجوة الكبرى كامــنة فــي تنــزيل هذه الغاية في عالم الواقع ، وفي قراءة الظروف الــزمانية والمكانــية والاجتماعية والسياسية والنفسية قراءة معبرة .. حينــئذ تــتحول الفكــرة إلــى واقــع ملموس وذلك عبر مجتمع يملك إرادة الفعــل ، وقــراءة سنن الآفاق ومن هنا تبرز القيادات الواعية ، والنماذج الفريدة ..

السبيل إلى الحل

لا ريــب أن الــداء العضال الذي استفحل ، والمرض الكئود الذي استشرى جدير بأن يُستأصل عبر عمليات جراحية فائقة العناية ، وذلك ببتر دواعي المرض أولاً ، ثم عزل الداء في أضيق مكان ، ثم الإجهاز عليه حتى لا يبقى له باقية ..

إن مجتمعــنا الإســلامي المعاصر يعاني أدواء خطيرة ، ومفاهيم مقلــوبة ، ونكســات فكــرية ، وأوهاماً مقلقة ، وسلوكيات مرذولة ، وجمــوداً مخــزياً ، وانفلاقــاً شنيعاً وذلك في شتى العوالم ، ومختلف الســبل ، فكــراً متكلاً ، وشعوراً خامداً وحركة ميتة .. إزاء هذا يبرز مطلــب التغيير الذي هو فرض الوقت ، وواجب الواقع وذلك طبق قوله ســبحانه وتعالــى [إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم] " الرعد : ١١ "

إن الآيــة الكــريمة توضح أن الحل كامن في مرتكزين اثنين .. أولهمــا : سلامة المُعتقد وصفاء الرؤية ، وصحة المسلك ، وذلك بأن

الله تعالى جل شأنه هو الصانع [إن الله لا يغير] ، وثانيهما : الأسباب المتخذة ، والأساليب المبتكرة ، والجهد البشري والتفوق الإنساني [حتى يغيروا ما بأنفسهم] .

إن ارتباط المرتكزين وانسجامهما يفضي إلى تحقيق التغيير ولئن كان المرتكز الأول يُعتبر بداهة بأنه مُحقق غير أنه يحتاج إلى زيادة صقل ، وعميق تأمل ، وزيادة يقين .. لكن المرتكز الثاني هو المفقود في واقع أمتنا حيث تفشى شلل الإدارات وانعدام المسئوليات ، وتضييع الأمانات .. فلابد أن يبدأ التغيير في الإنسان [فكراً ومفاهيم] وذلك في عالمي الغيب والواقع ، وذلك ليبدو الترابط الكامل والانسجام التام ، والتوائم الرائع بين ما يكمن في النفس من اعتقادات وأفكار ــ عالم القيم ــ وبين ما يظهر من السلوكيات النابعة من هاتيكم التصورات ــ عالم الواقع .

خطوات العمل

من الواضح أن البداية الصحيحة ، والدواء الناجح للخروج من هذا المأزق العسير هو بناء قيادات واعية ، وإخراج نماذج بشرية تمثل المنهج الفكري في قالب واقعي وأن من المفيد في هذا المقام أن نتوجه عبر التاريخ حتى نقف في رحاب النبي القائد صلى الله عليه وسلم حيث واجه مجتمعاً بشرياً نخر الفساد فيه من كل جانب ، وسرى العطب إليه من كل ناحية .. تراكمت فيه أفكار معلولة ونظرات مرذولة .. مما أدى إلى أن يغدو المجتمع كسيحاً لا حراك فيه ، جامداً لا تطور لديه ، غافياً لا يقظة عنده حيث راح ينهش في لحمه ، ويهشم عظامه بيده ، ودماء سائلة وأرواح مزهقة ، وأموال ضائعة ، وطاقات مُعطلة ، وإمكانيات مجمدة ، وتفاخر بالأوهام ، واستعلاء بالباطل .. أجل في هذا لطقس

الكئـــيب ، واليأس القاتل برز نور النبي صلى الله عليه وسلم وانطلق جهده منذ البداية في عملية البناء ، بناء القادة الذادة ، والأساتذة الرادة ، ابـــتعث فيهم مواهب كامنة وأطلق من نفوسهم طاقات خفية ، فصار الأمي فيلسوفاً ، والجاهل عبقرياً ، والكسول بطلاً ، والمتخلف متنوراً ، وهـــذه شـــهادة التاريخ لأولئك الذين كانوا يفقدون كل وسائل الانطلاق حـــين جاءتهم يد القيادة البانية ، والحكمة البالغة ، والرعاية الفائقة ، فأخرجت منهم هؤلاء الميامين في كل مقام فبنوا حضارة شامخة مازال المسلمون يعيشون على ذكراها ..

مواصفات القائد

أولاً : ملكات القيادة كسبية أم وهبية ؟

لقـــد اختلف الباحثون حول سمات القائد وصفاته هل هي كسبية أو وهبـــية .. وخلاصة ما أميل إليه أن جزء منها وهي لا مراء فيه حيث يثبـــته الواقـــع وهـــو من أصل التكوين مثل الصفات الجسدية .. قامة فارعة ، شكلاً جميلاً ، جاذبية أخاذة ، رخامة في الصوت ... الخ .

ولاشـــك أن هـــذه الصـــفات لها معيارية في الإعانة على العمل ، والدخـــول إلـــى النفوس ، ومن هنا عصم الله أنبياءه ورسله في عالم بشـــريتهم من كل مرض عضال يفضي إلى .. تعطيل عضو ، أو إعدام حاسة وذلكم هو الكمال البدني .

وأمـــا الكسبي فهو الميدان الواسع الأرجاء والذي تفجر من خلاله طاقـــات كامـــنة ، وإمكانـــيات غائـــرة .. ولقد أثبتت الأبحاث حديثاً أن الإنســـان لـــم يفجر طاقته إلا جزء يسير وأن الكامن في الأعمال أكثر مما يظهر ..

تصـــديق ذلـــك أن النبـــي صـــلى الله علـــيه وسلم صقل طاقات ، واســـتخرج إمكانـــيات وأنشـــأ مـــن خلالها حضارة فريدة لم ينعم على البشرية بمثلها ..

ثانياً الصفات التي يجب توافرها في القائد

١) الرؤية الواضحة

إن مـــن عـــدم المعرفة الدقيقة ، والبحث الاستقصائي ، والدراسة الشمولية عن مجتمع يريد مخاطبته يحكم على عمله بالفشل منذ البداية حـــيث لابـــد للقائد المحنك من أن يمتلك رؤية مشرقة ومعرفة واضحة للبيـــئة التـــي يعاصـــرها ، وللمخاطبـــين الذين يحدثهم ، حيث إن هذه المعرفة هي السبيل المؤدية إلى التواؤم بين المُخاطب والمخاطّب .. إذن لابـــد مـــن عملـــية الشهود الذي عبر عنه القرآن الكريم حين ذكر عن تكلـــيف الله تعالى لرسوله العظيم صلى الله عليه وسلم [يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً نذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً] " الأحزاب : ٤٦ " .

نلحظ في الآية الكريمة تقديم وصف الشهادة على البشارة والنذارة والدعوة إلى الله تعالى وذلك بقوله / شاهداً / .. حقاً إن ممارسة دعوة من غير شهود كمعالجة مريض من غير معاينة .. فالشهود عمل علمي دقيق ودراسة واعية موضوعية ، وتعرف على العلل ، وكشف للأدواء ومـــا ذاك إلا ليـــبدأ الداعـــية الطبيب ، والقائد النجيب بالأهم فالمهم ، وبالأســـلوب المناســـب والوقت الملائم والطريقة الممكنة والباحث في ســـيرته صـــلى الله عليه وسلم يرى أنه أوتي جوامع المعرفة ، وكامل المكنة في هذا الجانب .

❁ معايشته لقومه في مكة مصابراً نفسه وداعياً أتباعه إلى كظم الغيظ ، وحبس النفس عن الغضب ، والثبات على المبدأ فبلال يقول [أحد أحد لا أشرك بربي أحداً] وهو يعاني من ظلم المتجبرين ، وعتوا المتغطرسين ، وخباب يقول [حسبي الله ونعم الوكيل] وظهره يكوى بالسفافيد التي تركت آثارها أخاديد على بدنه . ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى أن السبيل المؤدي إلى النصر هو الصبر .. ولما لم يسجل النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه الكرام أي رد اعتداء على قريش كان ذلك داعياً إلى الكثير منهم ليفكر في الانتماء إلى هذا الرحب الكريم .

❁ صقله للمجتمع المدني ومؤاخاته للأنصار .

❁ دخوله مكة منتصراً قائلاً [ما تظنون أني فاعل بكم] قالوا [أخ كريم وابن أخ كريم] فقال [اذهبوا فأنتم الطلقاء] .

❁ اجتذابه الشخصيات متغايرة في تطلعاتها .. فالوليد ابن الوليد يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو لأخيه خالد بالهداية فيجيبه [إن له عقلاً يهديه للإسلام] ، وصفوان بن أمية أعطى من المال ما دعاه إلى أن يقول [لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وإنه لمن أبغض الناس إلي فمازال يعطيني حتى إنه لمن أحب الناس إلي] .

❁ حين أرسل معاذاً إلى اليمن زوده بتوجيه رائد فقال له [إنك تأتي قوماً أهل كتاب] وهذه إشارة موحية وتنبيه واضح إلى معاذ أن يتزود بمعرفة تتناسب ومعرفة أهل الكتاب حتى يتقن الحديث معهم ويعرف من أين بدء الحوار .

❁ إن الله تكـــرم على عباده بأن أرسل في كل بيئة قائداً يهديهم سواء الصراط فقال سبحانه [وإن من أمة إلا خلا فيها نذير] " فاطر : ٢٤ "

غيـــر أن الله عـــز وجـــل مـــا أرسل رسولاً إلا بلسان قومه وذلك لمعـــرفته البينة وإدراكه الشامل لحال مجتمعه فقال تعالى [وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم] " إبراهيم : ٤ " .

٢) الحنكة في التعامل مع المخاطبين

القائد الماهر هو الذي يجيد لغة التخاطب مع الآخر وذلك من خلال حســـه المـــرهف ، وطبعه الشفيف ، وذكائه المتوقد ومعرفته الدقيقة ، وخبرته الواسعة في حالة المخاطب وهذه حالة الحكمة ، وما الحكمة إلا وضـــع الشـــيء في محله فما يصلح لإنسان لا يصلح لآخر وما يصلح لإنســـان في وقت قد لا يصلح له في وقت آخر .. ولذلك ذكر الله تعالى منـــته علـــى القادة المحنكين فقال [فيؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً] " البقرة : ٢٦٩ "

ودعـــا الله تعالى رسوله الحكيم صلى الله عليه وسلم بقوله [ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن] " النحل : ١٢٥ " .

وطالـــب عـــباده الدعاة والقادة الأبرار بقوله [وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن] " الإسراء : ٥٣ " .

إن المتتبع لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليجد مختلف أنواع الخطاب الراقي والمناسب لحال المخاطب .

٣) الصبر والتحمل وعدم اليأس

إنه لحقيق بالقائد الماهر ، والرئيس المحنك أن يكون متحلياً بسمة الصـــبر حيث أن الصبر من أعظم الصفات ، إذ أن القائد الملول يوحي

إلـــى من تحته بيأس مرير ، وكسل قاتل .. وإن من أسماء الله الحسنى [الصبور] ، وهو سبحانه يحب الصابرين وهو جل وعز مع الصابرين ، وهو تقدست أسماؤه يبشر الصابرين بأفضل النتائج وأعظم المآثر .. وهــذه آيــات تشير إلى ذلك قوله تعالى [والله يحب الصابرين] " آل عمــران : ١٤٦ " وقــوله [إن الله مع الصابرين] " البقرة : ١٥٣ " وقوله إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب] " الزمر : ١٠ " وقوله [وبشر الصابرين] " البقرة : ١٥٥ " إلى غير ذلك من نصوص كثيرة في هذا السياق .

إن مــن تتبع نصوص القرآن الآمرة بالصبر يلحظ توجه الخطاب مباشــرة إلـــى النبـــي القائد علماً بأن الله تعالى قد منحه أعلى الرتب وأسمى المقامات في هذا السياق وفي سواه وأتم له نعمة الخلق العظيم إلا أن الله تعالى يرغب عباده بالاقتداء بالأسوة العظمى يقول الله تعالى [فأصــبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين] " القلم : ٤٨ ــ ٥٠ " .

<u>كما خاطبه سبحانه بقوله</u> [فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جمــيلاً] " المــزمل : ١١ " ويضرب الله تعالى لرسوله الكريم الأمثال فيمن سبقه من الرسل والأنبياء وأنهم بلغوا الأمانة ، وقادوا أممهم إلى طــريق الســلامة لكــنهم أوذوا وعورضــوا فصبروا وهو شأن القادة الحكماء قال الله تعالى [ولقد كذب رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتـــى أتـــاهم نصــرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين] " الأنعام : ٣٤ " ثم يأمر الله تعالى رسوله الأعظم بالبتأسي بمن سلف من إخوانه المرسلين فيخاطبه بقوله [فاصبر كما صبر أولو

العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ســـاعة من نهار فهل يهلك إلا القوم الفاسقون] " الأحقاف : ٣٥ " إثـــر هـــذا كله يسلى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ويبين له أن الجهـــد الخـــالص لله هـــو المقبول عنده سبحانه [فذرهم حتى يلاقوا يـــومهم الـــذي فـــيه يصـــعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصـــرون وإن للـــذين ظلمـــوا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون واصـــبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم] " الطور : ٤٥ : ٤٩ " ثم يؤكد المولى سبحانه وتعالـــى علـــى نبيه العظيم صلى الله عليه وسلم أن يكون صبره صبراً جمـــيلاً وهـــو الصبر المصحوب بالتلطف والتعفف وبحسن مقابلة أذى المدعـــوين بالصـــفح والإحسان فيقول سبحانه [فاصبر صبراً جميلاً] " المعارج : ٥ " .

مع التوجيهات الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم تؤكد أن القائد المتجـــرد إلـــى الله والمـــتعلق برضوانه ربه لا يعيق حركته وإعراض معرض ولا ضعف تابع بل يثبت على سعيه الحثيث للوصول إلى الهدف المنشـــود فالصبر هو الإرادة البانية والعزيمة الراسخة التي يمكن من خلالها تحقيق المأمول وما خاب سعي قائد إلا يوم ابتلى بيأس مقعد أو إحباط هازم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم مكتظة بنماذج فريدة في هذا الإطار .

وهاكم بعضاً من نماذج صبره صلى الله عليه وسلم

المثال الأول : روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله أدع الله على المشركين ، قال [إني لم لأُبعث لعاناً ، وإنما بُعثت رحمة] .

المـــثال الثاني : روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد ، فقال [لقد لقيت قومك ، فكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي علـــى ابن عبد باليل بن كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنـــا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني ، فقال إن الله قد سمع قول قومك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .. قال [فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد إن الله قـــد ســـمع قـــول قومك ، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرنـــي بأمرك وإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحـــه لا يشـــرك به شيئاً] ، وفي سيرته صلى الله عليه وسلم عجائب وغرائب يُرجع إليها .

٤) الأسوة الحسنة

بديهـــي أن القائد هو المثال الذي يُحتذى ، والنموذج الذي يُتبع ، ولذلك تعهد الله تعالى أنبيائه ورسله بكمال الخُلق وتمام الخلق ورفعهم أعلى درجات الفضل وأسمى معارج الكمال فكانوا أسوة للاقتداء قال الله تعالـــى [قـــد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه وإذا قالوا لقـــومهم إنـــا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبيـــنكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم

لأبيه لأستغفرن لك ربي وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير] " الممتحنة : ٤ "

كمـــا قال تعالى [لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله والـــيوم الآخر ومن يقول فإن الله هو الغني الحميد ً " الممتحنة : ٦ " ، لقـــد خاطـــب الله تعالـــى أتـــباع الرســـول صـــلى الله عليه وسلم بأن يجعلوا قدوتهم رسولهم الكريم وذلك بقوله [لقد كان لكم في رسول الله أســـوة حســـنة لمـــن كـــان يـــرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً] " الأحزاب : ٢١ "

مـــن هنا يتضح أن القائد الماهر هو الذي يصطبغ بما يدعو إليه ، ويتحلى بأسمى الأخلاق ويزدان بأعلى السمات ، فرسولنا الحبيب صلى الله علـــيه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة العظمى جُبل على حُسن الخُلق ووصـــفه الله تعالـــى بقوله [إنك لعلى خُلق عظيم] " القلم : ٤ " ، ثم مـــنحه الله تعالـــى رتـــبة الرحمة العامة فقال [وما أرسلناك إلا رحمة للعالمـــين] " الأنبياء : ١٠٧ " ، ويبين أنه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنـــين مـــن أنفســـهم فقال [النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم] " الأحـــزاب : ٦ " ، وأكـــد سبحانه صفة نبيه بالرحمة إذ أنه موصوف برقة القلب وشفافية الطبع وحُسن الخُلق وصدق العاطفة والحرص على اتـــباعه ، والخشية عليهم أن يصابوا بمكروه فقال سبحانه [لقد جاءكم رســـول مـــن أنفســـكم عزيز عليه ما غنمتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم] " التوبة : ١٢٨ "

هذا القاموس المشرق لأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يجب أن يتحلى به كل قائد يسوس الآخرين حتى يخرج من خلال ريادته نماذج على هذا الطراز العجيب ففاقد الشيء لا يعطيه .

٥) مكارم الأخلاق ومحاسن الشيات زاد القائد الناجح

اللـــين وســـيلة التواصل والمودة طريق الانسجام ، والمحبة معبر الألفة ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد من له خُلق كريم حيث نســـجه الله تعالـــى على أسمى الأخلاق وأروع المكارم حيث قال [فبما رحمـــة مـــن الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعـــف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر وإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين] " آل عمران : ١٥٩ " ، والمتأمل في هذه الآيـــة يلحظ أن الباء السببية التي أوضحت عناية الله تعالى بنبيه عليه الصـــلاة والسلام أي بسبب رحمة الله لك كنت لين الطبع كريم الخَلق ، سمح السجايا ، كثير العطايا ولو كنت غير ذلك لما نجحت مهمتك مهما بلغـــت دعـــوتك ، إن فـــي هذا لبلاغاً لكل قائد أن مهمته لن يُكتب لها النجاح ما لم يَصطبغ بهذه الأخلاق الكريمة ، من هنا نرى أن الله تعالى وجـــه نبيـــين كريمين وهما موسى وهارون عليهما السلام حين أمرهم بالـــتوجه إلى فرعون الطاغية الجبار فقال [أذهبا إلى فرعون إنه طغى " ٤٣ " فقـــولا لـــه قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى " ٤٤ " " طه " ، وإن مائـــدة النبـــي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المقام متعددة الألوان حيث بـــرز حُســـن خُلقـــه فـــي كل مقام مع الكبير والصغير والرجل والمرأة والمقبل والمدبر .

٦) التسامي عن الأغراض الشخصية والمصالح الذاتية

إن هـــذه الصـــفة تُعتبر المرتكز الرئيسي للقائد ، والرائد المخلص حـــيث إن العـــبودية الحقـــة لن تنال ما لم يتنزه العبد عن حطام الدنيا ومطامـــع الأهـــواء وهـــذا هو الرسول الأعظم أسوة القادة ، ونموذج الريادة يذكر على لسان القرآن [قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من

المتكلفين إن هو إلا ذكر للعالمين] " ص : ٨٦ : ٨٧ " ، يتبين أنه لا يبتغي أجراً يؤخذ ولا مثوبة من أحد تنال بل المبتغى رضوان الله تعالى ، ولقد كانت سنة الأنبياء على هذا الصراط السوي فما كانوا ليطلبوا عرضاً دنيوياً ولا متاعاً فانياً فكل من نوح وهود وصالح ولوط وشُعيب عليهم السلام قد قال لقومه [وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين] " الشعراء ١٠٩ ـ ١٢٧ ـ ١٤٥ ـ ١٦٤ ـ ١٨٠ "

لقد تكررت الآية خمس مرات في خمسة مواضع ذلكم أن كل نبي من الأنبياء الذين سبق ذكرهم كان يزيل بهذه الخاتمة مبيناً مقصده في صدق التوجيه ونزاهة الذات والإعراض عما في أيدي الناس وأن المبتغى رضوان الله تعالى .

ولقد خاطب الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم خطاباً صريحاً ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان أزهد الناس غير أن التوجيه الإلهي الحكيم كان بقصد اتباع المنهج وسلوك الصراط المستقيم قال تعالى [لا تمدن عينك إلى ما متعنا به أزوجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى] " طه : ١٣١ "

وإننا لنعلم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ذا نفس أوابة وروح وثابة مع قلب نقي وفؤاد تقي ، يعضد ذلك كله إحساس رهيف وشعور شفيف تيامي عن الدنيا ومتعها والأهواء ولذائذها ، وحين عرضت قريش عليه المال والجاه والنساء فأبت نفسه الكريمة وتسامى عن كل العروض قائلاً [والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه] ، وكذلكم حين عرض عليه جبريل أن يقلب له جبال مكة ذهباً ما كان نفسه إلا أن

تسأل معبراً عن فطرته التي فطره الله عليها قائلاً [أحب أن أكون نبياً عبداً لا نبياً ملكاً أجوع يوماً فأصبر ، وأشبع يوماً فأشكر] ، وقد أوصى صلى الله عليه وسلم أمته بقوله [أزهد في الدنيا يحبك الله وأزهد فيما عند الناس يحبك الناس] رواه بن ماجه وغيره .

٧) إنزال الناس منازلهم

من حكمة القائد التعامل مع الناس حسب مقتضيات الغاية العظمى ألا وهي اجتذابهم إلى سبيل الهدي وتحفيزهم في البناء والعمل وإن من محاسن القيادة أن تدرك كيفية التخاطب مع الآخرين ، فهاكم النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب قادة العالم في عصره بخطاب حضاري راقي المستوى عالي السماحة فحين خاطب كسرى قال [من محمد رسول الله إلى قيصر عظيم الروم أسلم تسلم وإلا فإن عليك إثم الأربعين] ، ثم ذكر قوله تعالى [قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله] ، فلحظ في الخطاب أنه خاطب قيصر بعظيم الروم ثم وجه خطابه أيضاً بكلمة أسلم أي لربك وربي ورب العالمين ثم دعا إلى حوار يتساوى فيه الطرفان ، والقرآن يعلمنا إنزال الناس منازلهم فهو حين ينادي السابقين من الأقوام الذين نزلت فيهم رسالات بـ [أهل الكتاب] يُعتبر اعترافاً منا بأنهم سابقون في المعرفة ، ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما ترويه عائشة رضي الله عنها [أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم] رواه مسلم ، وعن عمر بن شُعيب عن أبيه عن جده قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم [ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا] رواه ابن داوود والترميذي وغيرهما ، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن من إجلال الله تعالى

إكـــرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي منه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط] رواه أبو داوود .

٨) المنهج الشوري

إن القائد الماهر هو الذي يعكف على استشارة قومه حيث الشورى مبدأ رصين أو تبادل معرفي هائل ، حيث أن الاستئثار بالرأي والتجاوز عن رأي الآخر عزل للمعرفة وتضييق لمساحة البحث فمهما أوتي الفرد مـــن معرفة فما أوتي منها إلا القليل لقوله تعالى [وما أوتيتم من العلم إلا قلـــيلاً] " الإســـراء : ٨٥ " ، كـــذلكم بأن الشورى سبيل إلى تحفيز الآخـــر ليبدي جهداً ويبذل طاقة ويقدم رأياً حيث لا يصبح الفرد امعه لا كـــيان لـــه ، وقـــد أنزل الله تعالى سورة سماها الشورى وفيها قوله [وأمـــرهم شـــورى بينهم] " الشورى : ٣٨ " ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يشاور أصحابه فقال [وشاورهم في الأمر] ، ومسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مكتنزة بهذه المواقف الرائعة في بدر وفي لأُحـــد وفـــي الأسرى ، وعلى هذا النسق معني أبو بكر وعمر وعثمان وعلي .

خاتمة

إن ما سبق ذكره ليس إلا ومضات من عوالم النور ورشفات مـــن كنوز المعارف حيث للموضوع إشراقات وتجليات وحقائق باهـــرات ولا يسعف الوقت بتفصيلها كما لا يمكن لفرد استيعاب هـــذا الموضـــوع من شتى جوانبه وعميق إفرازاته لكن صفوة القـــول إن القـــيادة الحكيمة لن تتبع إلا من مصدر مشرق القلب كريم النفس صافي الرد خالص العبادة ولن تنفع إلا إذا وقعت في قلـــب نـــدي مزهر ونفس مؤمنة تواقة أو عقل نفاذ مدرك حينئذ تلـــتحم الصـــلة وتُنتج الأجيال القيادية التي تحمل عبء قضيتها وتفجر طاقاتها فالنبي صلى الله عليه وسلم شحذ همم أمته فجعل مـــن الصـــبية أبطـــالاً ومن الشيوخ شباباً ومن النساء ماجدات طاهـــرات يـــتقدمن الصفوة في معارك الحياة .. وأنني لأرى أن المكوث على بحث القيادة ومنطلقاتها واجب من أهم الواجبات .

أسأل الله تعالى أن يعيننا جميعاً للقيام به والله وراء القصد